علاقة الشخصية بآليات الفضاء الروائي عند إرنست همنجواي ويوسف إدريس

الباحث/ أحمد الديداموني محمد إسماعيل

مدرس مساعد – قسم اللغة العربية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة قناة السويس

الملخص

الزمان والمكان آليتان مهمتان في رسم الشخصية الروائية، وسواء أكان المكان مجرد أرضية ثانوية، أم كان له دوره التشكيلي في بناء الشخصيات والأحداث، فإنه البؤرة التي تلتقي عندها السردية الحكائية، فالانصهار بين علاقة المكان والزمان تضفي على الرواية الانسجام والإقناع والتماسك، بل يمكننا أن نقول إن النسيج الروائي القوي المليء بالحياة هو ذات شبكة متصلة من التأطير الزماني والمكاني

Abstract

Time and place are two important mechanisms in drawing the novelist's character, and whether the place is just a secondary ground, or if it has a formative role in building characters and events, it is the focus at which the narrative meets, the fusion between the relationship of space and time gives the novel harmony, persuasion and coherence. We say that the strong narrative fabric full of life is a network of temporal and spatial framing.

المقدمة

يعد عنصر الشخصية أهم مرتكزات الرواية، وأحد محددات الفن السردي بوجه عام، فلا يقوم النسيج الروائي دون مكون الشخصية؛ وهذا ما يجعل الشخصية الروائية من أهم مداخل النقد الروائي، وهو العنصر الذي يشمل عملية بناء الشخصية، بكل ما تشمله تلك العملية من تحديد لأبعاد الشخصية، وبما تحتوي عليه من خصائص داخلية وخارجية واجتماعية، وطرق تقديم الشخصية، فضلا عن صنيفها، ودراسة العلاقات الناشئة بينها وبين بقية عناصر البنية السردية.

الزمان والمكان آليتان مهمتان في رسم الشخصية الروائية، "وسواء أكان المكان مجرد أرضية ثانوية، أم كان له دوره التشكيلي في بناء الشخصيات والأحداث، فإنه البؤرة التي تلتقي عندها السردية الحكائية"(١)، "فالانصهار بين علاقة المكان والزمان تضفي على الرواية الانسجام والإقناع والتماسك"(٢)، بل يمكننا أن نقول إن النسيج الروائي القوي المليء بالحياة هو ذات شبكة متصلة من التأطير الزماني والمكاني.

والزمكانية تمثل ذلك التفاعل الأساسي للعلاقات المكانية من جهة والزمانية من جهة أخرى التي تتخلل نسيج العمل الروائي، والزمكانية- أيضًا- فضاء زمني مكاني ينظم علاقة الحاضر بالماضي وعلاقتهما بالشخصيات"(٣)

والسبب الذي جعل الباحث يجمع بين الروائيين -يوسف إدريس وهمنجواي- أن بينهما الكثير من الأرضية المشتركة:

أولا: قد عمل كلاهما في الصحافة، فيوسف إدريس نشر مقالا في مجلات ثورية حتى سجن وأبعد عن الدراسة، كما إنه أسهم في تحرير مجلة التحرير التي أصدرها الجيش بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م، فضلا عن ذلك كتب عددًا من المقالات في مجلة (صباح الخير)، ثم بعد ذلك كتب في جريدة الجمهورية، وبالطبع كتب فيها عددًا من المقالات وبعضًا من القصص مثل قبر السلطان والمستحيل وقاع المدينة.

أما همنجواي أثناء دراسته للثانوية عمل صحفيًّا في صحيفة Trapez and Tabulaفي القسم الرياضي وبعد أن تخرج في الثانوية عمل صحفيًّا في جريدة Kanas city Star، ثم عمل موظفًا في Toronto Star، وعمل صحفيًّا في جريدة In Out Time، عمل همنجواي مراسلا حربيًّا عام ١٩٤١م حيث الحرب العالمية الثانية.

ثانيًا: كلاهما خاض الحروب والثورات، فيوسف إدريس أثناء دراسته للطب اشترك في عددًا من المظاهرات ضد المستعمرين البريطانيين وضد الملك فاروق، ثم بعد ذلك انضم إلى المناضلين الجزائريين في الجبال ضد المستعمرين الفرنسيين، فأصيب بجرح؛ لذلك منحه الجزائريون وسامًا لتقديرهم لجهوده في سبيل حريتهم، وحينما عاد إلى مصر كتب في جريدة الأهرام سنة ١٩٧٣م فقد اعترف به كاتبًا مهمًّا من كتاب عصره.

أما همنجواي فقد انضم كسائق إسعاف في الجيش الإيطالي في الحرب العالمية الأولى، وأثناء خدمته فاز بالميدالية الفضية الإيطالية تقديرًا لشجاعته، لكنه أصيب بعدة إصابات دخل على إثرهم المشفى في ميلان.

ثالثًا: عانى كلاهما في بداية حياته من الفقر والفاقة، فيوسف إدريس ولد في فاقوس وكان يعمل فلاحًا بالأجرة مع والده، أما همنجواي ولد سيسيرو في شيكاغو، ثم ذهب به والداه إلى شمال ميشيجان في كوخ العائلة، وهناك تعلم الصيد.

رابعًا: كلاهما حصل على عددًا من الجوائز تقديرًا لمهارتهم فيوسف إدريس حصل على وسام من الجزائر ١٩٦١م، وعلى وسام الجمهورية ١٩٦٣م، وعلى وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى ١٩٨٠م.

أما همنجواي توج بجائزة "بوليتزر" في الصحافة عام ١٩٥٣ وجائزة نوبل في الأدب ١٩٥٤، عن رواية "الشيخ والبحر"، وتحول منزله في كوبا إلى متحف يضم مقتنياته.

حدود الدراسة:

– وعند حدود المادة الروائية التي سيعتمد عليها الباحث في موضوع الدراسة فنراها ممثلة في ثماني روايات وهي روايات (البيضاء – الحرام – العسكري الأسود – العيب .

A Farewell to Arms - For Whom the Bell Tolls - The sun - (also rises - The old man and the sea

– وكان **اختيار** الباحث لهذه الروايات لعدة أسباب منها:

أولاً: أن "رسم الشخصية " هو العنصر البارز والمسيطر على أسلوب هذه الروايات؛ مما سيتيح الفرصة أمام الباحث كي يستكشف جوانب سردية لم تتوافر في روايات أخرى، مثل استخدام زوايا الرؤية الخيالية والرؤية القولية معًا في إنشاء عالم محكوم بقوانين النسبية. ومثل استخدام التنوع في أساليب رسم الشخصية؛ لرسم صورة متفردة لكل سارد.

ثانيًا: أن دراسة هذه الروايات حسب المنهج المحدد، تقدم سندًا على عدم انغلاق النص على قضايا شكلية أو لغوية أو على أعمال بهذه الجوانب دون سواها؛ فيوسف إدريس وهيمنجواي من أبرز المنادين بتحميل الأدب بالقضايا السياسية والأيديولوجية، وبخاصة في الفترة التي كتبا فيها هذه الروايات، وجاءت هذه الروايات كذلك زاخرة بالفكر الأيديولوجي والرؤى السياسية. ومن هنا ستستطيع أن تثبت هذه الدراسة أن العمل الأدبي لا يتجزأ، وأن المدخل المناسب لدراسة المضمون في العمل الأدبي الروائي هو رسم الشخصيات.

ثالثا: إن الشخصية في هذه الأعمال ليست عنصرًا من عناصر البناء الروائي فحسب، وإنما العمود الفقري الذي تستند إليه باقي عناصر البناء الروائي عندهما.

منهج الدراسة

ستعتمد هذه الدراسة–إن شاء الله– على المنهج المقارن وفق مفهوم المدرسة الأمريكية بمنهجها النقدي حيث تهتم بدراسة الأدب أو الظواهر الأدبية في شموليتها، وليس الأدب من خلال العلاقات والصلات التاريخية بين الآداب والأدباء والوسائط، فالمنهج المقارن وفقا لذلك يقوم على

إجراء مقارنة بين ظاهرتين، بقصد الوصول إلى أوجه التشابه والاختلاف بينهما وأسباب ذلك ودلالاته.

الدراسات السابقة:

- شخصية البطل في روايات يوسف إدريس دراسة فنية: عبد المنعم أبوزيد، ماجستير، كلية دار العلوم، القاهرة، ١٩٩٥. وتتكون هذه الرسالة من أربعة فصول، جعل الباحث الفصل الأول بعنوان البطل والمجتمع، والثاني بعنوان البطل والسياسة والفصل الثالث البطل واقتصاد المجتمع والفصل الرابع بعنوان نفسية البطل، واقتصرت هذه الدراسة على روايتين فقط هما رواية السيدة فيينا ورواية نيويورك ٨٠.

- مفهوم البطل في روايات إرنست همنجواي وبعض قصصه القصيرة: زياد فتحي محمود، ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، فرع بني سويف، ١٩٩٥.

وتتكون هذه الرسالة من ثلاثة فصول الفصل الأول بعنوان لغة البطل والفصل الثاني بعنوان زمن الرواية والفصل الثالث بعنوان الفضاء المكاني للبطل، واقتصرت هذه الدراسة على رواية عبر النهر ونحو الأشجار ورواية سيول الربيع ورواية يملكون ولا يملكون والمجموعة القصصية رجال بلا نساء.

- القصة بين همنجواي ومحفوظ قراءة بنيوية للرجل العجوز والبحر ويوم قتل الزعيم: يحيى السيد كامل، مجلة فكر وإبداع، ج٣٨، ٢٠٠٧.

وهو بحث يتكون من أربع وأربعين صفحة، وهو يعقد مقارنة بنيوية سردية بين الكاتب همنجواي ونجيب محفوظ متخذًا رواية العجوز والبحر ورواية يوم قتل الزعيم نموذجًا.

وهذه الدراسات السابقة –نظرًا لطبيعة موضوعاتها– لم تتناول الروايات المختارة في رسم شخصياتها، وبعضها اهتم بالمقارنة بينهما وبين روائيين عرب آخرين، ومن هنا يأتي بحثي

لاستكمال هذه الجوانب من الدراسة.

وعند النظر في روايات يوسف إدريس نجد أنها تدور في سياق مكاني مكون من المدينة، فكل روايات يوسف إدريس (العسكري الأسود – العيب – البيضاء) تدور في المدينة، عدا رواية واحدة تدور أحداثها في الريف وهي رواية (الحرام).

أما همنجواي فنجد أن بعض رواياته تدور كذلك في المدينة مثل رواية

(The Sun Also Rises – a farewell to the arms)

أما الروايات التي تدور أحداثها في الريف فهي:

(For Whom The Bell Tolls – The Old Man And The Sea)

ومن هنا يتبين لنا أن همنجواي ويوسف إدريس يبنيان ثنائية المكان والزمان على أساس فكرة المتغير والثابت فالمكان القرية والنهر والجزيرة والترعة والكوخ والغابة والكهف والجسر والجبل والإصطبل أو المدينة مثل المقهى والخمارة والحديقة والأوبرا والكازينو والمطعم ومحطة القطار والفندق والمجلة والبوفيه، وتتبدل وتتغير عليهم مجموعة من الأزمنة المتتالية من الأيام والأسابيع والشهور والسنين والساعات.

عند تدقيق النظر في روايات همنجواي ويوسف إدريس نجد أنهما قد شكلا المكان على ثلاثة أنماط (المكان المغلق – المكان المفتوح – الفضاء المتسع) ومن الملاحظ أننا قد نجد أن هذه الأنماط مجتمعة ومتداخلة وغير منفصلة، بل قد نجدها مزدوجة في رواية واحدة، أي أن المكان قد يكون مفتوحا، ثم يتحول إلى مكان مغلق، أو يتأرجح بين مغلق ومفتوح.

النمط الأول المكان المغلق

ومن الملاحظ في روايات همنجواي ويوسف إدريس أن الأماكن المغلقة تتسم بالمزج بين الخصوصية والعمومية من خلال الاحتكاك بين الأنا والآخر، بل وقد حظي المكان المغلق بالنصيب الأوفر في روايات همنجواي ويوسف إدريس في معظم رواياتهما.

فالبيت هو العنصر الأساسي في رواية الحرام ليوسف إدريس، فهو من يجسم الشخصيات بعقولهم وأفكارهم وثقافتهم، وعاداتهم وتقاليدهم، ومن ثم تنساب الشخصيات وتتحرك في دائرة الأحداث بمعتقد هذا البيت، فالبيت في نظر أم لندة بوتقة من العادات والتقاليد التي لا ينبغي أن تنفك عنها بأي حال من الأحوال،" فالبيوت في القرية لا تخضع لنظام في مبانيها فتأتي عفوية الشكل، فهي تكاد تكون واحدة من الطين النيئ، وكذلك إنسان القرية يحمل هوية عميقة موغلة مفاداها العائلة، والنجع فلا ينفك عنها بأي وسيلة وإلا في تلك الحالة يعدونه مجنونًا أو متمردًا"(٤).

فنجد ابن الشيخ عبد الوراث يجبره أبوه على الزواج من ابنة أخيه ليتستر عليها، فيحس ابنه أن البيت الذي نشأ فيه هو السبب الرئيس في هذا لتمسكه بعادات وتقاليد واهية.

والبيت في رواية البيضاء مصدر للإصلاح الفردي فهو مصدر القوة والحب والعيب وسلوك الدين الإسلامي والتعاطف والمودة، كل ذلك يشعر به يحيي في بيت عائلته حينما يعود إلى قريته في البلد.

فنجد يحيي يشعر بالخزي والعار حينما يجلس في بيت أبيه في قريته، فيستحي أن يخبرهم بقصته مع سانتي، فما يجد لنفسه سبيلا سوى الانغلاق داخل ذاته، فيطيل الصمت إلى أن ينتظر الصباح ليترك بيت أبيه ليستقل القطار للرجوع إلى القاهرة.

أما البيت في رواية " The Old Man And The Sea" يتمثل في كوخ صغير يمكث فيه العجوز بعد عودته من الصيد؛ ليتناول قسطًا من الراحة بعد يوم طويل مليء بالعناء والقسوة نتيجة ما تحمله من أعباء الصيد من مشقة وجوع، فهو فقط يمثل موضع راحة للعجوز، لكنه لا يعد مصدرًا للقوة أو للعادات والتقاليد بل موضع للراحة، فهو يصنع ما بدا له فهو يعيش وحيدًا في ذلك الكوخ.

النمط الثاني المكان المفتوح عند تدقيق النظر في بعض روايات همنجواي ويوسف إدريس نجد أن دلالة المكان تتغير وتتبدل عن رموزها الثابتة إلى رموز أخرى غريبة مختلفة عن سياقها الأصلي،

فبنت الشيخ عبدالوارث تأوي إلى "بيتنا" بيت عمها الشيخ عبدالوارث، فتتبدل الخصوصية للمكان المغلق إلى فتح ثقب جديد من غلاف الحرية المكانية، حتى ليصبح المكان المغلق مهددًا بأن يتحول إلى مكان مفتوح إجباري يُفرض عليه العادات والقرارات الخاصة بمصلحة الأسرة، وفي المقابل نجد أن ابن الشيخ عبدالوارث لا يملك الحرية التامة أو المقيدة في الزواج من يحب، وكذلك الأم " في البيت" بعد تهديد عبدالوارث لها بالطلاق إذا رفض ابنها الزواج من ابنة أخيه، يتقوض "البيت" وتنطلق إلى "بيت" أبيها، وابن الشيخ عبدالوارث يُطرد من "بيتنا" ليهرب من زواجه من ابنة عمه، ليذهب إلى "بيت" الشيخ علي.

فالمكان المغلق "البيت" تتحول رمزيته من الحرية إلى "سجن" من العادات والتقاليد والقوانين الإجبارية، ولو قلنا مثلا أن دلالة "البيت" الذي تنتمي إليه البنت المراد التستر عليها هو امتداد لدلالة "بيتنا" أو أنهما يحملان ذات المستوى من الأخوة والانتماء الأسري، فإن المشكلة ليست في المكان المغلق وليست غريبة عن دلالة الفردية أو الخصوصية، فالفرع جزء من الكل (المكان المغلق – المكان المفتوح) وهو حق أساسي للأسرة الواحدة.

أما بالنسبة لدراسة المكان الجغرافي في روايات يوسف إدريس، ورصد أهم المعالم الجغرافية المهيمنة على رواياته، فذلك يقدمه الباحث عن طريق الإحصاءات التالية التي ترصد هذه المعالم الجغرافية في كل رواية على حدة.

١-الفضاء الجغرافي في رواية (العسكري الأسود)

المكان	الأماكن الريفية	الأماكن الحضرية	أماكن اللقاء	أماكن الإقامة	الأماكن المأهولة	الأماكن الخالية	الأماكن العامة	الأماكن الخاصة	الأماكن المغلقة	الأماكن المفتوحة	الأماكن الواسعة	الأماكن الضيقة	[illegible]	[illegible]	أماكن موصوفة [illegible]	المجموع الإجمالي [illegible]

العدد	٧	٢	٢	٢	٧	٢	٧	٣	٣	٣	٣	٣	٢	٧	٧	٧	٧
النسبة	٩,٧٪	٢,٧٪	٢,٧٪	٢,٧٪	٩,٧٪	٢,٧٪	٩,٧٪	٤,١٪	٨,٣٪	٨,٣٪	٤,١٪	٩,٧٪	٢,٧٪	٩,٧٪	٢,٧٪	١١,١٪	١,٣٪	١٠٠٪

فمن الجدول الإحصائي السابق يصل الباحث إلى هذه النتائج:

١- إن الأماكن الموصوفة تتفوق على بقية الأماكن الأخرى في الرواية بنسبة مئوية قدرها ١١,١٪، يليها الأماكن المغلقة بنسبة مئوية ٨,٣٪؛ فيوسف إدريس لا يترك شيئًا إلا ويتطرق إليه بالوصف، أما بالنسبة للأماكن المغلقة؛ فهذا يرجع إلى طبيعة الرواية وبطلها، فبطل الرواية يعمل في الخفاء، ودائم البعد عن زملائه في المشفى، بل ويتقرب إلى المرضى ليستغلهم -خفية- ماديًا.

٢- تتساوي الأماكن الريفية وأماكن الإقامة، وكذلك الأماكن الخالية والأماكن الإجبارية في النسبة المئوية لتصل إلى ٩,٧٪؛ وهذا يرجع إلى أن الأماكن الريفية يغلب على أفرادها المكوث في البيت أو الحقل (الأماكن الخالية)؛ وبالطبع شخوص الرواية مجبرين على ذلك؛ سعيًا وراء لقمة العيش.

٣- وفي المقابل تتساوى الأماكن الحضرية وأماكن اللقاء والأماكن المأهولة والأماكن الاختيارية في النسبة المئوية ٢,٧٪، وهذا طبيعي جدًا؛ لأن يوسف إدريس في هذه الرواية يحاول الموازنة بين الأماكن الريفية والأماكن الحضرية بسبب تنقل شخص الرواية من الريف إلى الحضر والعكس.

٤- إن أقل الأماكن ترددًا في هذه الرواية هي الأماكن غير الموصوفة فقد بلغت نسبتها ١,٣٪، وهذا بالطبع يتناسب مع غلبة الأماكن الموصوفة في هذه الرواية ومع أسلوب يوسف إدريس الحكائي في وصف الأماكن والشخصيات.

٥- إن أغلب أماكن يوسف إدريس في هذه الرواية واقعية حقيقية، حيث تعاملت الشخوص الروائية معها –مع الأماكن- عن قرب، فلم يتجه بخياله نحو الخيال أو المكان المعنوي، من هنا يؤكد الباحث خلو الرواية من الأماكن المعنوية.

٢- الفضاء الجغرافي في رواية (العيب)

المكان	الأماكن	أماكن	أماكن	الأماكن	الأماكن	الأماكن	الأماكن	الأماكن	الأماكن	الأماكن	الأماكن	الأماكن	أماكن	أماكن	الأماكن	أماكن غير	المجموع
العدد	٠	٥	٤	١	٥	٠	٤	١	١	١	٤	٠	٥	١	٤	٥	٤١
النسبة	٠	٪١٢	٪٩,٧	٪٢,٤	٪١٢	٪٠	٪٩,٧	٪٢,٤	٪٢,٤	٪٢,٤	٪٩,٧	٪٠	٪١٢	٪٢,٤	٪٩,٧	٪١٢	٪١٠٠

فمن الجدول الإحصائي السابق يصل الباحث إلى هذه الحقائق:

١- إن الأماكن الحضرية والمأهولة والاختيارية والموصوفة يحتلون المرتبة الأولى في الرواية؛ وذلك لأن أحداث الرواية تدور في أحضان المدينة وداخل المؤسسات الحكومية، وأبطال أحداثها من موظفي الحكومة.

٢- خلو الرواية من الأماكن الريفية والأماكن الخالية ومن الأماكن الإجبارية وغير الموصوفة.

٣- جاءت أماكن يوسف إدريس واقعية بعيدة عن التخيل والأحلام، فلا يوجد لصفة المكان المعنوي كينونة في هذه الرواية؛ فيوسف إدريس يحاول دائمًا إضفاء صفة الواقعية في رواياته؛ ليجعلها أقرب للواقع؛ ليجعل القارئ يصدق أحداثها؛ حتى يتمكن مع التعايش مع أحداثها وتخيلها.

٣- الفضاء الجغرافي في رواية (الحرام)

المكان	الموصوف	أماكن اللقاء	أماكن الإقامة	الموصوف	الموصوف	الأماكن العامة	الموصوف	الموصوف	الموصوف	الموصوف	الموصوف	الموصوف	الموصوف	الموصوف	الموصوف	الموصوف	المجموع
العدد	١٥	٠	١١	٤	٩	٢	٩	٦	٥	١٠	٥	١٠	٨	٧	١٢	٣	١٢٠
النسبة	١٢,٥٪	٠	٩,١٪	٣,٣٪	٧,٥٪	٥٪	٧,٥٪	٥٪	٤,١٪	٨,٣٪	٤,١٪	٨,٣٪	٦,٦٪	٥,٨٪	١٠٪	٢,٥٪	

١- إن الأماكن الريفية الواردة في هذه الرواية تتفوق على بقية الأماكن الأخرى بنسبة قدرها ١٢,٥٪ يليها مباشرة على نحو متساوٍ الأماكن الموصوفة ١٠٪، ثم بنسبة ضئيلة أماكن اللقاء ٩,١٪، فكل أحداث الرواية تتم في الريف وعلى شط الترعة وفي الحقول، وهذا بطبيعة الحال يجعل يوسف إدريس يهتم بالوصف؛ حتى يرسم صورة لأماكن الرواية في ذهن القارئ.

٢- تخلو الرواية من الأماكن الحضرية، فأحداث الرواية تدور في الريف.

٣- جاءت الأماكن الجغرافية كلها واقعية حقيقية بعيدة عن التخيل، فشخوص الرواية تخرج وتدخل في أماكن ريفية بعيدة عن المعنويات.

٤- الفضاء الجغرافي في رواية (البيضاء)

العدد	١	١٦	٣	١٤	١٤	١٤	٣	٢	١٥	٢	١٤	٣	١٤	٦	٣	٤	١٢	١٣٦
النسبة	٠,٦	١١,٧	٢,٢	١٠,٢	١٠,٢	١١,٧	١٠,٢	١,٤	١١	٢,٢	١٠,٢	٨	٤,٤	١٠,٢	٢,٢	٢,٩	٩,٥	

١- إن الأماكن الحضرية هي المهيمنة على بقية أماكن الرواية لتصل نسبتها المئوية إلى ١١,٧٪،

٢- ويليها مباشرة على نحو متوازٍ الأماكن العامة ١١٪، فأماكن يوسف إدريس في هذه الرواية حضرية عامة، ولا عجب في ذلك فأحداثها تقع على أرض القاهرة.

٣- إن هناك عدة أماكن جاءت متساوية بشكل لافت للنظر مثل أماكن الإقامة والأماكن المأهولة والأماكن المفتوحة والأماكن الاختيارية ١٠,٢٪؛ لأن الأماكن المفتوحة في القاهرة دائما ما نجدها مكتظة بالناس، مزحمة بروائحهم، مزعجة بأصواتهم، مما يجعل شخوص الرواية تهرب إلى البيت؛ لتتلقى جزءًا من الراحة ولكن سرعان ما تذهب إلى الخارج؛ لقضاء مصالحهم الحيوية، وكذلك تتساوى أماكن اللقاء والأماكن الخالية والأماكن المغلقة والأماكن الإجبارية ٢,٢٪؛ لأن بطل الرواية في كل مشهد يحاول التقرب من سانتي محبوبته فيختلي بها في بيته أحيانًا، وفي المطعم أحيانًا أخرى.

٤- إن أقل الأماكن ترددًا في هذه الرواية هي الماكن الريفية ٠,٦٪، فالرواية في عمومها تكاد تخلو منها لولا ظهور بيت عائلة يحيى في الريف في منتصف الرواية، وكذلك الأماكن الخاصة جاءت بقلة ١,٤٪؛ ولا عجب في ذلك لأن الشخصيات تتحرك في المدينة التي تتكدس بالمصالح الحكومية التي يغلب عليها طابع العمومية عكس الريف الذي يذخر بالخصوصية.

٥- جاءت أماكن الرواية واقعية بعيدة عن التخيل، وبهذا تبتعد الرواية عن الأوصاف المعنوية أو الأماكن المتخيلة.

وفي المقابل إذا ما انتقلنا إلى روايات إرنست همنجواي نجد الجدول الإحصائي التالي يدلي لنا بنتائجه الواضحة:

الفضاء الجغرافي في رواية ((The Sun Also Rises

العدد	٠	٥٧	٥٧	٠	٥٧	٠	٥٧	٠	١٦	٤١	٥٧	٠	٥٧	٠	٠	٤٥٦
النسبة	٠	١٢,٢٪	١٢,٢٪	٠	١٢,٢٪	٠	١٢,٢٪	٠	٣,٥٪	٨,٩٪	١٢,٢٪	٠	١٢,٢٪	٠	٠	١٠٠٪

ومن الجدول الإحصائي السابق يصل الباحث إلى النتائج التالية:

١- ورود مجموعة من الأماكن على نحو متساوٍ مثل الأماكن الحضرية وأماكن اللقاء والأماكن المأهولة والأماكن العامة والأماكن الواسعة والأماكن الاختيارية ١٢,٢٪؛ فإرنست همنجواي جعل أحداث هذه الرواية في المدينة التي تتميز بكثرة المقاهي والحدائق والحانات، وكلها أماكن مأهولة؛ بسبب طبيعة الشخصيات في هذه الرواية التي تميل للتسكع في الطرقات والمقاهي والحانات والتنزه في الحدائق.

٢- خلو الرواية من الأماكن الريفية وأماكن الإقامة والأماكن الخالية والأماكن الخاصة والأماكن الضيقة والأماكن الإجبارية ٠٪.؛ لأن هذه الأماكن توجد فقط في الروايات التي تدور أحداثها في الريف.

٣- اهتم همنجواي بالوقفات الوصفية كما يظهر من الجدول السابق، فقد أخذ أكثر من وقفة ملامح الفضاء الجغرافي من حيث الشكل واللون أو الحجم فقط.

٤- جاءت أماكن همنجواي واقعية في هذه الرواية، ولم ينظر إلى الخيال، فلا يوجد في الرواية صدى للوصف المعنوي.

الفضاء الجغرافي في رواية (For Whom The Bell Tolls)

العدد	٩	٧	١٥	٢	٧	٩	١٧	٠	٢	١٥	١٤	٣	١٥	٣	١١	٣	٣	١٣٦
النسبة	٦,٦٪	٥,٥٪	١١٪	١,٤٪	٥,٥٪	٦,٦٪	١٢,٥٪	٠٪	١,٤٪	١١٪	١٠,٢٪	٢,٢٪	١١٪	١,٤٪	٨٪	٤,٤٪	١٠٠٪	

من الجول السابق يتضح ما يلي:

١- هيمنة الأماكن العامة على بقية أماكن الرواية بنسبة ١٢,٥٪، فأحداث الرواية تدور حول الحرب والثكنات العسكرية.

٢- جاءت بعض أماكن الرواية متساوية في النسبة المئوية مثل الأماكن الريفية والأماكن الخالية بنسبة ٦,٦٪، والأماكن الحضرية مع الأماكن المأهولة بنسبة ٥,٥٪، وأماكن اللقاء مع الأماكن

المفتوحة والأماكن الاختيارية بنسبة قدرها ١١٪ وأماكن الإقامة مع الأماكن المغلقة والأماكن الإجبارية بنسبة ١,٤٪.

٣- ندرة بعض أماكن الرواية مثل أماكن الإقامة والأماكن الإجبارية والأماكن المغلقة بنسبة ١,٤٪؛ وذلك بسبب طبيعة الأحداث في الرواية التي تقوم على الحرب والقتل.

٤- جاءت الأماكن في هذه الرواية واقعية بعيدة عن الموصوفات المعنوية أو الرمزية.

الفضاء الجغرافي في رواية (A farewell to the arms)

العدد	٣	٣٠	٣٢	٢	٣	٢٧	٣٤	٠	٣	٣٠	٣٣	١	٢٨	٣	٢٠	١٤	٢٧٢
النسبة	١,٤٪	١١٪	١١,٧٪	٠,٧٪	٢,٢٪	١٠,٢٪	١٢,٥٪	٠	١,٤٪	١١٪	١٢,١٪	٠,٣٪	١٠,٢٪	٢,٢٪	٧,٣٪	٥,١٪	١٠٠٪

من الجدول الإحصائي السابق يتضح:

١- إن الأماكن العامة هي المهيمنة على بقية أماكن الرواية بنسبة مئوية قدرها ١٢,٥٪، يليها الأماكن الواسعة بنسبة ١٢,١٪، ثم أماكن اللقاء ١١,٧٪، ثم الأماكن الحضرية ١١٪، ثم الأماكن الخالية ١٠,٢٪؛ وهذا راجع إلى طبيعة الرواية التي تدور أحداثها عن الحرب، والحرب لا تكون إلا في معسكرات واسعة، وموضع اللقاء يكون في الوحدات العسكرية.

٢- جاءت بعض الأماكن قليلة في نسبة حضورها مثل الأماكن الضيقة ٠,٣٪، يليها أماكن الإقامة ٠,٧٪، يليها الأماكن المأهولة ٢,٢٪ والأماكن الإجبارية ٢,٢٪.

٣- تساوي بعض الأماكن في حضورها داخل الرواية مثل الأماكن الخالية والأماكن الاختيارية ١٠,٢٪، وكذلك الأماكن المأهولة والأماكن الإجبارية ٢. %، وهذا يعكس طبيعة التوتر لدى الجنود فهم مجبرون على الحرب، ولا يستطيعون الانفكاك عنها.

٤- أماكن هذه الرواية واقعية، فلا يوجد مظهر للوصف المعنوي.

الفضاء الجغرافي في رواية (The Old Man And The Sea)

العدد	٩	٤	١٠	٣	٥	٨	٧	٦	٠	١٣	٤	٩	٦	٧	١١	٢	١٠٤
النسبة	٨,٦٪	٣,٨٪	٩,٦٪	٢,٨٪	٤,٨٪	٧,٦٪	٦,٧٪	٥,٧٪	٠	١٢,٥	٣,٨٪	٨,٦٪	٥,٧٪	٦,٧٪	١٠,٥	١,٩٪	١٠٠

من الجدول الإحصائي السابق يصل الباحث للنتائج التالية:

١- إن الأماكن المفتوحة هي المهيمنة على الأماكن الأخرى بنسبة ١٢,٥٪؛ فأحداث الرواية تدور في المحيط الواسع.

٢- تساوي الأماكن الريفية مع الأماكن الضيقة بنسبة مئوية قدرها ٨,٦٪؛ فسكان القرية يعملون بالصيد، ويعيشون في أكواخ طيقة قريبة من البحر، وتتساوى الأماكن الحضرية مع الأماكن الواسعة بنسبة قدرها ٣,٨٪؛ وهذا يتناسب مع طبيعة الأماكن الحضرية الواسعة، وتساوي الأماكن العامة مع الأماكن الإجبارية بنسبة ٦,٧٪.

٣- إن الأماكن غير الموصوفة هي الأماكن الأقل ترددًا في هذه الرواية فقد بلغت نسبتها ١,٩٪؛ لأن همنجواي يتميز بأنه لا يترك شاردة ولا وارة إلا ويصفها، وهذا بذلك يتفوق على يوسف إدريس.

٤- جميع الأماكن الواردة في هذه الرواية واقعية، فلم يتجه همنجواي نحو المعنويات.

وفيما يلي جدولا إحصائيّا للمقارنة بين النسب المئوية عند همنجواي ويوسف إدريس:

المكان	ريفي	حضري	لقاء	إقامة	مأهول	خال	عام	خاص	مغلق	مفتوح	واسع	ضيق	اختياري	إجباري	موصوف	غير	مجموع
إدريس	٢٣	٢٣	٢٠	٢٦	٣٠	١٦	٣١	١٥	١٥	٣١	٢١	٢٥	٢٩	١٧	٢٩	١٧	٣٦٨
النسبة	٦,٢٥٪	٦,٢٥٪	٥,٤٪	٧٪	٨,١٪	٤,٣٪	٨,٤٪	٤٪	٤٪	٤,٣٪	٥,٧٪	٦,٧٪	٧,٨٪	٤,٦٪	٧,٨٪	٤,٦٪	

همنجواي	٢٢	٩٩	١١٤	٧	٧٦	٤٥	١١٥	٣	٢٢	٩٩	١٠٨	١٢	١٠٦	١٥	٨٣	٣٨	٩٦٨
النسبة	٢,٢٪	١٠,٢٪	١١,٧٪	٠,٧٪	٧,٨٪	٤,٦٪	١١,٨٪	٠,٦٪	٢,٢٪	١٠,٢٪	١١,١٪	١,٣٪	١٠,٩٪	١,٥٪	٨,٥٪	٤٪	

ومن الجدول الإحصائي يتبين ما يلي:

١- تساوي الأماكن الريفية والحضرية عند يوسف إدريس بنسبة ٦,٢٥٪، فيوسف إدريس يحاول في رواياته التطرق إلى الريف حتى وإن كانت أحداث الرواية تدور في المدينة، فشخوص الرواية التي تدور في المدينة يجعلها يوسف إدريس تذهب إلى الريف لزيارة الأهل والأقارب، فكل شخوص الروايات التي تدور في المدينة لها جذور في الريف، في حين أن الأماكن الريفية تتساوي مع الأماكن المغلقة بنسبة ٢,٢٪ عند همنجواي، وذلك بسبب قلة الأماكن الريفية عند همنجواي؛ ويجعل همنجواي الريف منغلق على ذاته لا يتفاعل نهائيًا مع المدينة، فالأشخاص الذين يعيشون في الريف يعيشون في أكواخ مغلقة كما يوجد في رواية العجوز والبحر.

٢- إن الأماكن الريفية عند يوسف إدريس تتفوق على الأماكن الريفية ٦,٢٥٪عند همنجواي ٢,٢٪، فيوسف إدريس يكثر من ذكر الريف في رواياته وهذا راجع إلى طبيعة البيئة المصرية التي أساس أفرادها من الريف.

٣- تفوق الأماكن الحضرية ١٠,٢٪ عند همنجواي على الأماكن الحضرية ٦,٢٥٪ عند يوسف إدريس، فكل روايات همنجواي تدور في المدينة عدا رواية واحدة وهي العجوز والبحر.

٤- تفوق أماكن اللقاء عند همنجواي ١١,٧٪ على أماكن اللقاء عند يوسف إدريس ٥,٤٪ ؛ وهذا راجع إلى كثرة الشخوص في روايات همنجواي التي دائما تلتقي في الحدائق والمقاهي والحانات وغيرها، عكس شخوص روايات يوسف إدريس التي لا تلتقي إلا من أجل لقمة العيش، وهذا راجع إلى المستوى المعيش للشخوص عند همنجواي عنه عند يوسف إدريس، إلا إن أماكن الإقامة ٧٪ عند يوسف إدريس تتفوق على أماكن الإقامة ٠,٧٪ عند همنجواي، وهذا راجع إلى أن

شخوص روايات يوسف إدريس لا تتحرك كثيرا ولتحركها دائما من أجل تحقيق مصلحة أو من أجل لقمة العيش وليس للتنزه بخلاف شخوص روايات همنجواي.

٥- تتفوق الأماكن المأهولة عند يوسف إدريس ٨,١٪ على الأماكن المأهولة عند همنجواي ٧,٨٪؛ وهذا راجع إلى قلة الأماكن عند يوسف إدريس، فالأماكن ضيقة مأهولة بالشخصيات يعيشون في ضيق من الحياة، عكس الأماكن عند همنجواي.

٦- تتساوي الأماكن الخالية بين يوسف إدريس ٤,٣٪، وبين إرنست همنجواي ٤,٦٪، فكل منهما يميل إلى الأماكن المأهولة بالناس؛ لتتفاعل شخوص الرواية مع المجتمع المحيط بها.

٧- تتفوق الأماكن العامة عند همنجواي ١١,٨٪ على الأماكن العامة عند يوسف إدريس ٨,٤٪؛ وهذا يرجع أيضًا لكثرة الأماكن عند همنجواي.

٨- تتفوق الأماكن الخاصة عند يوسف إدريس ٤٪، على الأماكن الخاصة عند همنجواي ٠,٦٪؛ لأن الاحتفاظ بالخصوصيات من طبيعة المجتمع المصري بخلاف المجتمع الغربي عند همنجواي.

٩- تتفوق الأماكن المغلقة عند يوسف إدريس ٤٪ على الأماكن المغلقة عند همنجواي ٢,٢٪؛ لأن شخوص روايات يوسف إدريس لا تخرج إلا من أجل لقمة العيش؛ سعيا وراء الرزق، وإلا فهي تمكث في البيت.

١٠- تتفوق الأماكن المفتوحة عند همنجواي ١٠,٢٪ على الأماكن المفتوحة عند يوسف إدريس ٤,٣٪؛ وهذا راجع إلى كثرة الشخوص وكثرة أماكن التنزه.

١١- تتفوق الأماكن الواسعة عند همنجواي ١١,١٪ على الأماكن الواسعة عند يوسف إدريس ٥,٧٪؛ وهذا راجع إلى كثرة الأماكن المفتوحة عند همنجواي.

١٢- تتفوق الأماكن الضيقة عند يوسف إدريس ٦,٧٪ على الأماكن الضيقة عند همنجواي ١,٣٪؛ بسبب تفوق الأماكن المغلقة عند يوسف إدريس عنه عند همنجواي.

١٣- تتفوق الأماكن الاختيارية عند همنجواي ١٠,٩٪ على الأماكن الاختيارية عند يوسف إدريس ٧,٨٪، وهذا يرجع إلى كثرة الأماكن المفتوحة والواسعة عند همنجواي عنه عند يوسف إدريس.

١٤- تتفوق الأماكن الإجبارية عند يوسف إدريس ٤,٦ على الأماكن الإجبارية عند همنجواي ١,٥٪، فأماكن يوسف إدريس ضيقة مغلقة يضطر أشخاصها إلى الذهاب إليها؛ لأنه لا يوجد بديل عنها.

١٥- تتفوق الأماكن الموصوفة عند همنجواي ٨,٥٪ على الأماكن الموصوفة عند يوسف إدريس ٧,٨٪؛ وهذا راجع إلى كثرة الشخوص والأماكن عند همنجواي عنه عند يوسف إدريس.

١٦- تتفوق الأماكن غير الموصوفة عند يوسف إدريس ٤,٦٪ على الأماكن غير الموصوفة عند همنجواي ٤٪، فهمنجواي يهتم بالوصف اهتمامًا كبيرًا.

١٧- يشترك همنجواي ويوسف إدريس في تفوق الأماكن الموصوفة على غير الموصوفة، وتفوق الأماكن المأهولة على الأماكن الخالية، وكذلك تفوق الأماكن العامة على الأماكن الخاصة، وأيضا تفوق الأماكن المفتوحة على الأماكن المغلقة، وتفوق الأماكن الاختيارية على الأماكن الإجبارية.

١٨- إن المكان بكل أنماطه المغلق والمنفتح والمتسع يفرض أسلوبه وسلوكه الواقعي على جميع شخوص الرواية وأحداثها، فهم يحيون ويموتون حسب طبيعة ذلك المكان.

وفي رواية العسكري الأسود نجد بيت العسكري الأسود هو محور حركة الشخصيات داخل الرواية والأساس الذي تقوم على الشخصيات، فنجد شوقي يسعى للوصول إلى بيت العسكري الأسود، ونور تعيش في بيت العسكري الأسود، وعباس الزنفلي هو العسكري الأسود.

وبيت العسكري الأسود يقوم بإظهار سمة القسوة في أبشع صورها، لما قام به عباس الزنفلي من تعذيب للناس داخل السجون، فقد كان يقوم بخلع أظافر المساجين بالقصافة، بل ويقوم بحرق السجائر في آذانهم، فضلا عن الجلد والتعذيب بالماء المغلي، والكي بالنار؛ فينعكس كل هذا على

شخصيات الرواية وعلى القارئ فيجعله ينظر إلى بيت العسكري الأسود على أنه مظهر من مظاهر القهر والعذاب، فيكره ذلك المكان المشؤم الممتلئ بالظلم والتعذيب، ففي ذلك المكان تمت ممارسة جميع الأفعال المشينة المنافية للأخلاق، فتنقبض نفس القارئ حينما يسرد الراوي أي تفاصيل لذلك البيت.

أما في رواية العيب نجد مكتب التصاريح هو الدائرة التي يتحرك داخلها الشخصيات، فنجد سناء محور الأحداث تمكث طوال الرواية في مكتب التصاريح، وكذلك الساعي والباشكاتب وأحمد وشفيق وإسماعيل وصفوت وأبوالنجا وعم فرج وعم إبراهيم وحسن أفندي ومدير الإدارة ... إلخ، كل هؤلاء الشخصيات يجرى الحوار معهم داخل مكتب التصاريح، وكذلك نلاحظ تأثير المكان على الشخصيات وهذا ما نجده في شخصية مدير الإدارة التي تتجسد في حب السلطة واقتناص الفرص لتحقيق أهدافه حتى لو لم يكن من حقه المشروع، كأخذه للرشاوي، وكثرة اختلاسه من المصلحة؛ لتحقيق أهدافه، ومن هنا تظهر صفات الشخصية كالأنانية والجشع النفس، وكذلك شخصية محمد الجندي رمزًا للقهر والتسلط وفي المقابل سناء رمز التمرد والعصيان والحرية، ولكنها ما تلبث إلا أن تخضع لرغبات محمد الجندي، كل هذه الملامح لا تظهر إلا بمعايشة الواقع والحضور المتمثل في مكتب التصاريح والبوفية وحجرة الموظفين في قسم الأرشيف والمقهى، ومدى تأثير المكان على الشخصية.

وفي رواية الحرام تتشكل دلالة بيت أحمد سلطان الذي حطم الشرف والطهارة للمرأة الفلاحة، هذا البيت يمثل محورا للدعارة وهو يعترف بذلك أمام صفوت ابن مأمور الزراعة، فهو ملتقى لذكية زوجة محبوب البوسطجي، وكذلك لندة بنت مسيحة أفندي، بل وتمادى في ذلك باعترافه بأنه التقى بالست أم إبراهيم وبنتها في يوم واحد في ذلك البيت؛ لذلك جاء وصف المكان ممتزجا برموز إيحائية كأنه سجن للعادات والتقاليد دلالة على الضجر والضيق؛ ليشعر القاري بالخوف والرهبة من ذلك السجن " فناء صغير تتوسطه نخلة يتكئ عليها زير، وعلى الجانب الأيسر

حجرتان صغيرتان مغلقتان، وفأر أسود يشمشم في الجدار"(٥).

ومن هنا نجد أن بيت أحمد سلطان هو السبب في تحرك الشخصيات في كونه خاليا، فقد توفى والديه، وظل وحيدًا في ذلك البيت، فتراوده أفكار كثيرة عن الاضمحلال وفساد الأخلاق، فلا يجد بدًّا إلا أن يغازل الفتيات والنساء ويستدرجهن إلى بيته، فالبيت هو المحور الذي تتحرك حوله الشخصيات، وتخرج إلى شخصية عزيزة التي اغتصبها محمد بن قمرين حينما ذهبت إلى أرضه لإحضار جذور البطاطا لزوجها المريض بالكبد.

وفي رواية البيضاء يتشكل المكان في شقة يحيى، وهذه هي الرواية التي تدور كل أحداثها في المدينة بخلاف الروايات الأخرى ليوسف إدريس، هذا المكان ملتقى لأصدقاء يحيى وعشيقاته من أمثال سانتي ولورا وأصدقائه من أمثال شوقي والبارودي وعم حسين وعنتر وعبلة.. إلخ، فهذا البيت ملتقى لمن تخبطت بهم الحياة فمنهم من أصيب بالإحباط ومنهم من سقط في وحل الغي والضلال، ومنهم من نجح في إقامة علاقة شريفة من خلال الزواج والاستقرار، هذا المكان – بيت يحيى- الذي خرجت منه الشخصيات، وتمحورت من خلالهم الأحداث، فالبيت هو المحرك الأساسي للأحداث، الذي انتقلت من خلاله الشخصيات.

ومن أبرز السمات المكانية في هذه الرواية سمة السلبية، فالمكان هنا متصل بملامح الشخصية السلبية – يحيى- الذي لم يستطع تحقيق ما ينبغي أن يفعله؛ نتيجة شعوره بالخوف من الأحداث المحيطة به؛ مما أدى إلى تغيره تغيرا سلبيا؛ مما أدى إلى زوال ألفته وجعله مكانا عدوانيًّا شديد القسوة، فهو يعجز عن البوح والحديث مع أي شخص عما يعانيه من حب ولوعة وفراق، يهاب الدهشة والاستغراب، وربما الرفض، وما زاد من عزلته عن الناس وخوفه هو دخوله السجن، لا يدري فيما سجن ولأي سبب اعتقل، لذلك قرر أن يعتزل المكان ويتركه بكل ما يحتويه من جيران وأصحاب.

ومن الملاحظ أيضا أن هناك ثلاثة أماكن لعبت دورًا مهمًّا في تكوين بعض المشاهد وتبلورها وهي الأوبرا التي ذهب إليها يحيى مع سانتي، ومن خلالها رُسم المشهد في مخيلة البطل، أما المكان الثاني هو شقة يحيى التي دار فيها الأحداث، والثالث الشارع المؤدي للشقة " أحاديث الأوبرا نامت في داخله فضول المشاهدة؛ مما دفعه على عدم الاهتمام بكلام سانتي، فاضطر إلى مغادرة الأوبرا دون أن تلازمه سانتي، ولكن بعد أن أكله الفضول وحب التطلع لما دار من أحاديث في الأوبرا، فآثر الرجوع إلى الأوبرا، اقترب من سانتي بفمه، ثم قبلها، وبعدها طوقها بجسده، حاولت الابتعاد عنه فلم تستطع التخلص منه، سارا معا إلى الشقة، ولم يصدق ما فعله في الأوبرا، وفي الطريق ظل يتلفت كثيرا حوله لعل أحدا من الأوبرا رآه، ثم مال منحدرا إلى العمارة التي فيها شقته بعدما سلك الكثير من الحواري والأزقة التي تفضي إلى طريق البيت"(٦).

فالفضاء المكاني السابق (الأوبرا – الشارع – الشقة) يلعب دورًا مهما في رسم انحدار السلوك الذي عَلَقَ بنفسية يحيى، من خلال تصويره في لغة حسية خرجت من دائرة الخصوص إلى حيز العموم، ومن الجزئي (الشقة) إلى الكلي (الأوبرا والشارع).

فالمكان في رواية البيضاء يلعب دورًا مهما في رسم الشخصية؛ من خلال الاهتمام بالمقاطع الوصفية للأماكن عن طريق وصف مدى ارتباط بعض الشخصيات ببعض الأماكن، فالروائي يصور مدى شعور الغربة التي انتابت يحيى حينما عاد إلى بيت عائلته في الريف:

"أقف وسط الصالة تائهًا، الأبواب المواربة، أحاديث الرجال على المقاهي، رائحة الطعام التي تتسرب إلى أنفي من المطبخ، الصمت يغطي الأبواب المتربة، شعاع الضوء الشاحب النافذ من المنور، تكوينات متداخلة على الجدران صنعت من الرطوبة"(٧).

وفي رواية " For Whom The Bell Tolls" تظهر دلالة المكان الضيق وهو الكوخ الذي يقطنه بابلو وبيلار وهو مكان يرمز إلى السلطة والتسلط على ماريا، والتي ترمز إلى الطبقة الفقيرة الكادحة التي آذتها الحروب والصراعات واضطرت إلى أن تكون أحد الأطراف في ذلك

الصراع بسبب وقوعها في غرام روبرتو، وروبرتو رمزا للعلم والثقافة والانفتاح، ولكن في النهاية يسقط روبرتو من فوق ظهر جواده، بل وسقوط جواده على قدمه اليسرى، مما أدى إلى تحطمها.

والجسر الكبير يتحول إلى محور الصراع وبؤرة الحدث، وإشكالية الوعي، وثنائية الجدل بين فعل السلطة –الفاشيين– وإرادة الشعب – الجمهوريين– لذلك يتحول رفض ماريا المعيشة في الغابة بين الجبل والطاحونة القديمة واختطافها وانتقالها إلى الكهف، وشعورها الدائم بالحب والحنين رمزًا للتمرد والعصيان الشعبي ضد السلطة والقهر.

وفي رواية " The Sun Also Rises" تمثل نيويورك المكان الضيق الذي يعكس الطبقة الأرستقراطية والثراء الفاحش، فيها مطعم لافونو وملهى فرساي ومقهى النابوليتان وحديقة مونتسوري وملهى السيلكيت وملهى سلوفلو... إلخ.

في المقابل نجد العريف والطباخ وبيلمونتي ومرسيال مصارع الثيران الذي مات إثر ضربة من الثور قضت عليه نظير بضع دولارات وكذلك البيكادور.

ذلك المكان –نيويورك– الثري يحرك شخصياته داخل أماكن ثرية – الملاهي الليلية والمقاهي والحدائق– ويجعل منهم أثرياء، ونتيجة لذلك نجد أن المكان يحرك الأحداث ذاتها تبعا لكينونة ذلك المكان، فمثلا جاك بارنس الذي يتجول في شوارع البيرافيد مع الفتاة بريت ، وهناك يلتقي ببرادوكس ويتفقا أن يذهبا إلى ملهى السيليكت وهناك يقابلا مع روبرت كون ، وبعد دقائق يأتي روبرت برنتسيسن فيتشاجر روبرت كون مع روبرت برنتسيس..إلخ.

ومن هنا تتجلى أهمية المكان من خلال تعلق الشخصيات به، فنجد أن برادوكس وبريت وزيزي ينجذبون إلى ملهى السيلكيت أكثر من غيره، فهو يشعرهم بآلامهم وأحاسيسهم، بل ويبادلهم لوعة بلوعة، ولهفة بلهفة، لذلك لا يرغبون في المكوث في ملهى سلوفلو رغم ما فيه من زخارف وجمال وبساتين وحدائق من الخارج.

وعند تدقيق النظر نجد أن هناك بعدًا رمزيًّا في هذه الرواية وهو الحنين، فالبطل روبرت كون بعد

سفره لفرنسا وتحقيق حلمه في إنشاء مجلة يعاوده الحنين لمسقط رأسه "نيويورك"

روبرت: لم أستطع البعد عن نيويورك، أفكر في العودة.

جورجيت: لمَ؟

روبرت: أسباب عديدة.

جورجيت: لعله الشوق

روبرت: ربما.

جورجيت: لمن؟

روبرت: عائلتي، الكثير من الناس، الكثير من الأماكن.

ومن اللافت للنظر أن الكاتب حينما يريد التعبير عن الأحداث فإنه يلجأ إلى الأوصاف التفصيلية التي ترتبط بالمكان:

"أستيقظ على الكثير من الأصوات التي تنبعث من الطرقات، ربما أصوات الأخشاب ومعدات العمال التي يعدونها احتفالا بعيد الفيستا"

وفي رواية " a farewell to the arms" يمثل مركز الريجادير المكان الضيق حركة الفساد الأخلاقي والسقوط للنماذج البشرية بين الطمع وتطلعات الثراء السريع.

ومن السمات التي نلمحها في مكان هذه الرواية سمة " القسوة" نتيجة تصرف شخصياته تصرفًا غير أخلاقي، وغير إنساني، فنجد تصرفات غير إنسانية تصدر عن رينالدي، ومن العجيب أنه يصنع ذلك أمام صديقه مانيرا دون أن يردعه مانيرا، بل ويدعم فيه هذا السلوك العدواني، فقد روي أن أحد الجنود تأخر عن تنفيذ أحد أوامره الكثيرة، فجعله يرقد على الأرض، ثم تناول بندقية، ثم أطلق الرصاص في جبهته، ثم وقف على جثته بقدمه، وألقى عليها ما تبقى من الخمر، ولم يكتف بهذا، فقام بفتح سرواله ثم بال عليه.

ذلك السلوك غير الإنساني الخالي من القيم الأخلاقية ينعكس على المكان في أعين الشخصيات؛

فيجعلهم ينظرون إليه نظرة قاسية؛ نتيجة ما ولده في نفوسهم من البغض والكراهية؛ لأنه ملأ حياتهم بالقهر والعذاب، وهذا ما اتفق فيه همنجواي يوسف إدريس في تقنية رواياتهما وهي إضفاء سمة القسوة على بعض الأماكن للإشارة إلى طبقة معينة من الشعب تم تهميشها مثلما في العسكري الأسود ليوسف إدريس.

أما رواية "The Old Man And The Sea " يمثل زورق العجوز منبع ذكريات العجوز ومنبع وصف الراوي لكل شاردة وواردة داخل الرواية، لذلك نجد همنجواي يتعرض لوصف كل الأماكن الواردة في الرواية من جميع الاتجاهات اللون والحجم والشكل؛ لذلك تخرج جميع الأماكن من زورق العجوز، ومن هنا نجد أن زورق العجوز هو المكان الأساسي داخل الرواية.

ومن أهم الصفات التي تعتري ذلك الزورق هو الخوف وانقباض النفس، الذي عبر عنه الراوي بطريقة مرئية من خلال تصويره للزمن وما فعله بالعجوز بعد أن كان بطلا قويًّا يلعب الذراع الحديدية ويظل داخل المسابقة ثلاثة أيام دون أن يذوق طعامًا أو شرابًا، وهو الآن يقوم بسحب الشباك بكل ضعف، بل وحينما هاجمه القرش تمنى أن يكون الغلام معه ليشد من أزره، كل هذا ينعكس على القارئ فنجد ملامح الحزن والخون من تقدم العمر تعتري القارئ حينما يرى مشاهد هذه الرواية وما يحدث داخل هذا الزورق.

وفي الختام

يتضح لنا أن المكان يحتل مكانة كبير عند همنجواي ويوسف إدريس فهو البطل الرئيس الذي تدور حوله الأحداث، فالمكان لم يكن لتزيين الأحداث بل مكون رئيس من مكونات الخطاب الروائي، وعنصر أساسي من عناصر الرواية، والذي يسهم بدوره في إنتاج معانيها وتكثيف حضورها وتعميق وعيها الإنساني، كما إنه يمثل البيئة المكانية والحضارية والاجتماعية؛ لكونه بوتقة فكرية تعمل على إبراز الذاكرة الجماعية للمنتمين إليها، فالمكان عند همنجواي ويوسف إدريس يحضر حضورا واضحا وبارزًا، وله خصوصيته التي تميزه عن غيره.

هوامش البحث:

[١] - محمد حسن عبد الله: الواقعية في الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م، ص ٢٩٨.

[٢] - محمد يوسف نجم: فن القصة، دار الثقافة، بيروت، د.ت، ص ١١٢.

[٣] - أحمد محمد عوين: أبعاد المكان الفنية في عصافير النيل لإبراهيم أصلان، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٤م، ص (٢٧).

[٤] - محمد يوسف نجم: فن القصة، دار الثقافة، بيروت، د.ت.، ص ١٢٤.

[٥] - الحرام: دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٩، ص٨٢.

[٦] - البيضاء: دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٠ص٢٥٦.

[٧] - المرجع السابق: ص٢٨٣.

قائمة المصادر

روايات يوسف إدريس:

- البيضاء:
- الحرام: دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٩.
- العسكري الأسود: دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢.
- العيب: دار الهلال، القاهرة، ١٩٦٢.

Ernest Hemingway novels:

- A Farewell to Arms: Charles Scribner's Sons, New York, 1929.
- For Whom the Bell Tolls: Charles Scribner's, New York, 1968.

- The Sun Also Rises: Charles Scribner's Sons, New York, 1926.
- The Old Man and The Sea: Charles Scribner's Sons, New York,1952

- **قائمة المراجع:**

– أحمد محمد عوين: أبعاد المكان الفنية في عصافير النيل لإبراهيم أصلان، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٤م.

– _____: المنزع الوصفي عند د. يوسف عزالدين عيسى. دراسة تحليلية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، نوفمبر ٢٠٠٠م.

– باختين: مختارات من أعمال باختين، ترجمة يوسف الحلاق تقديم بطرس الحلاق، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، العدد ١٢٤١، ٢٠٠٨ م.

– بدر الدين مصطفى: حالة الحداثة الفلسفة والفن، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الفلسفة، القاهرة، ٢٠١٣م.

– بديع حقي: ترجمة رواية ولا تزال تشرق الشمس لهمنجواي، الطبعة الأولى، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا، ١٩٩٨م.

– برنار فاليط: النص الروائي " تقنيات ومناهج"، ترجمة رشيد بن حدو، المشروع القومي للترجمة، ع ١٠١، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩م.

– جميل حمداوي: مستجدات النقد الروائي، د.ت، ط١، ٢٠١١م.

– محمد حسن عبد الله: الواقعية في الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م.

– محمد يوسف نجم: فن القصة، دار الثقافة، بيروت، د.ت.